ونيكسون، ايضاً، هو أول رئيس اميركي يزور الاتحاد السوفياتي والصين (١٩٧٢). وليس من باب الصدفة أن يبدأ الرئيس الاميركي الحالي، جورج بوش، فاتحة نشاطه الدبلوماسي بزيارة للصين. فالصين، حسبما ورد في كتاب نيكسون ايّاه، «قيد الاستيقاظ من نومها الآن... [وهي البلد] الذي سيتمكّن بشكل أساسي من تقرير مصير ميزان القوة في العالم خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، والذي يمكن أن يصبح أقوى بلد على وجه الكرة الأرضية خلال القرن الحادي والعشرين» (ص ١٧٥). وفي عهد نيكسون تمّ التوصّل الى توقيع اتفاقية السلام مع فيتنام (٢٣/١/١٩٧٣)، منهياً بذلك التورّط العسكري الأميركي في الحرب الفيتنامية؛ كما في عهده، أيضاً، وقعت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣)، وتمكّن، عقبها، وزير خارجيته، هنري كيسنجر، من التوصل الى توقيع اتفاقيتي فك الارتباط بين اسرائيل وكل من مصر (١٩٧٣) وسوريا (١٩٧٤)، فاتحاً بذلك الباب للجوء الى التسوية السلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ لكن الموضوع الفلسطيني شكّل العقبة الرئيسة أمام تطوير اتجاه التسوية السلمية ليشمل سوريا والأردن، فاقتصر على الجبهة المصرية. وفي مواجهة ادارة نيكسون للموضوع الفلسطيني، بدا موقفها متناقضاً. فقد قال وزير الخارجية، في حينه، كيسنجر (٦/١٢/١٩٧٣): «يجب ايجاد علاقة بين الحقوق الفلسطينية التي أشارت اليها الولايات المتحدة في عدة وثائق عالمية وحدود الاستيعاب في الأرض المحتلة من فلسطين»؛ (د. محمد شديد، **الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية**، القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥ ص ١٥٠). وأوضح نائبه لشؤون الشرق الأوسط، هارولد ساوندرز، «ان ثمة ما يقارب الثلاثة ملايين شخص، يسمّون انفسهم فلسطينيين، ينظرون، اليوم، الى أنفسهم على أساس كونهم شعباً ذا كيان، ويرغبون في حقهم في تقرير وضعهم السياسي... [و] ما نحتاج اليه، في البدء، عملية دبلوماسية تساعد في خلق تعريف معقول للمصالح الفلسطينية، وهو وضع بامكان المفاوضات أن تبدأ منه للعمل على حل الجوانب الفلسطينية من المشكلة. ان القضية ليست في التعبير عن المصالح الفلسطينية في التسوية الاخيرة، انما كيف ؟ لن يكون هناك سلام حتى يتمّ ايجاد جواب» (**المصدر نفسه**، ص ١٥٤ ـ ١٥٥). في المقابل، قدّم كيسنجر، وكان نيكسون غادر البيت الابيض، تعهداً الى اسرائيل، نص فيما نص عليه: «لن تعترف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير، ولن تتفاوض معها، الّا عندما تعترف هذه بحق اسرائيل في الوجود، وتقبل بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨» (**المصدر نفسه**، ص ١٥٤). وقد أوقف العمل بتعهد كيسنجر ايّاه، عندما قررت ادارة ريغان، في ١٥/١٢/١٩٨٨، فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية؛ وبدأ الحوار حول ما أشار اليه ساوندرز.

أمّا حول كتابه، فقال الرئيس نيكسون: «عندما استقلت من منصبي اياه، تركت عملاً دون أن أنجزه، وهو يعنيني ويهمني أكثر من أي شيء انشغلت فيه في عمري، ألا وهو اقامة 'بنية سلام' جديدة من شأنها أن تحول دون وقوع حرب كبرى، وأن تحافظ، في الوقت ذاته، على أمن العالم الغربي في ميزان هذا القرن» (ص ١)؛ و«ان كتابي هذا صرخة من القلب موجهة ليس الى قادتنا السياسيين فحسب، بل الى القادة في مختلف ميادين الحياة، لكي يعقدوا العزم، قبل فوات الأوان، ويعزّزوا قوى أميركا، بحيث يضمنون لها البقاء... وأن العقدين القادمين من الزمن يمثّلان زمن ذروة الأزمات بالنسبة الى اميركا والغرب، حيث أن مصير العالم لأجيال قادمة سيتحدّد خلال تلك الفترة» (ص ٣)؛ والفكرة الأساسية لموضوع الكتاب «هي أن الغرب، اليوم، قد اجتاز عتبة الحقبة الزمنية لأزمة حادة، حيث أضحى بقاؤه خلال القرن الحادي والعشرين مهدداً بصورة مباشرة بخطر عميق. اننا نمتلك القدرة المادية والاقتصادية والقوة التكنولوجية لكي نسود، أي للمحافظة على حريتنا، وتفادي وقوع حرب كبرى» (ص ٨ ـ ٩)؛ ويجب ان تتركّز الغاية، حسب الكتاب، «على خلق عالم تكون الديمقراطية فيه في أمان؛ والأهم من ذلك هو ايجاد عالم يُكبَح فيه الاعتداء، ويُضمَن فيه الاستقلال الوطني؛ وتماماً كما شهدت الأربعينات والخمسينات نهاية الاستعمار القديم، يجب أن نقوم، في الثمانينات والتسعينات، بردع الامبريالية السوفياتية الجديدة. ولكي نرسم طريقنا للمستقبل، ينبغي علينا أن نعرف أعداءنا، وأن نفهم أصدقاءنا، ونعرف أنفسنا، وأين نحن [؟] وكيف وصلنا الى هنا [؟] والى اين نريد الذهاب [؟]» (ص ٢٢).

والكتاب يعرض رؤيا أميركية لطبيعة الصراع بين العملاقين وأهداف كل منهما من هذا الصراع،